

من قضايا العربية  
ومشكلاتها المعاصرة



## اللغة العربية المشتركة

سبق أن ذكرنا خلال حديثنا عن اللغة المشتركة والمهجات العوامل التي تنشأ بها اللغة المشتركة ، والصورة التي تكون عليها لغات الأفراد في إطار هذه اللغة ، وعوامل الانقسام اللهجي ، وحدود هذا الانقسام .

ومن الطبيعي أن نطبق ما قلنا هنالك على حالة اللغة العربية ، لأنها هي الهدف الأساسي من دراستنا الأكاديمية والعملية .

وتاريخ هذه العربية تاريخ بعيد ، يرجع إلى ما قبل ميلاد المسيح بقرون كثيرة ، حتى لقد وجدنا الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد يكتب كتاباً يقرر فيه أن الثقافة العربية أقدم وأسبق من ثقافة اليونان والعبريين<sup>(١)</sup> .

وهو يقرر في هذا الكتاب الفريد : أنه قد مضى على العرب أكثر من ألفي سنة ، وهم معروفون بهذا الاسم الذي يطلقونه على أنفسهم ، ويطلقه عليهم غيرهم . وقد كانوا من قبل ذلك يسكنون هذه الجزيرة العربية ، قبل ذلك أيضاً بقرون ، ثم يقول : ولاخلاف كذلك في قدم اللسان العربي فيها ، ولا في أنه أقدم لسان تكلم به سكانها الأقدمون ، ولم يعرف لهم لسان قبله مخالف له في أصوله وخصائصه ، ثم تساءل : أكان المتكلمون بهذا اللسان قبل ثلاثين قرناً مقيمين بالجزيرة العربية ، أم كانوا مقيمين في موطن آخر ، ثم هاجروا إليها ؟

فاستعمال العربية في رأى الأستاذ العقاد كان على أسنة أهلها منذ أكثر

---

(١) سلسلة ( المكتبة الثقافية ) العدد (١) وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

من ثلاثين قرنا ، غير أنه يقرر بعد ذلك : أن عربية ذلك الزمان السحيق لم تكن هي عربية اليوم ، وهو أمر طبيعي ، ولسكنها كانت في صورة لغة أخرى ، هي الآرامية التي كانت عربية تلك الأيام في موطنها ، وأنها قريبة جداً من اللغة العربية الفصحى بعد تطورها نحو ثلاثة آلاف سنة ، ويختم حديثه بقوله : « وجملة القول أن الثقافة الآرامية عربية في لغتها ، ونشأتها ، ونسبتها إلى عنصرها ، ولا يمكن أن تعرف لها نسبة إلى أمة غير الأمة العربية في عهدها الأولى ، فكل ما استفاده العالم من جانبها فهو من فضل هذه الأمة على الثقافة العالمية » .

وليس الأستاذ العقاد منفرداً في رأيه هذا ، بل سبقه إلى ما هو أكثر منه بلوغاً في الزمان باحث عربي آخر هو الأستاذ محب الدين الخطيب ، الذي وصل بالوجود العربي في الجزيرة وما حولها إلى أبعد مما وصل إليه العقاد ، فن المعلومات التاريخية المقررة الآن أن أول موجة هاجرت من الجزيرة العربية إلى العراق كانت عام ٣٦٠٠ قبل الميلاد ، أي : منذ ستة وخمسين قرناً ، وبذلك يكون ظهور إبراهيم عليه السلام في العراق - حدثاً عربياً في شكله العام ، وإن انتمى إلى بعض القبائل التي تحمل اسم السككديانيين ، وهم قوم من الساميين ، أو العرب بشكل عام .

ويقدم المؤلف تفسيراً لهذا الالتقاء التاريخي في تصوره فيقول : « إن اللغات السامية ، وهي اللغات التي كان يتكلم بها الكلدانيون والآشوريون ، في العراق ، والسريانيون والفينيقيون والعبرانيون في الشام والحبشة ، وراء الساحل العربي من بحر القلزم [ البحر الأحمر ] - كن في العصور الأولى متشابهات بحيث يعتبرن كلهن لهجات ل لغة واحدة ، ولذلك استطاع سيدنا

إبراهيم عليه السلام أن ينقل بين العراق والشام ومصر والحجاز، وأن يفهم مع جميع سكان تلك الأقطار، إذ لم يكن بين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد، ولا نستطيع القول بأن واحدة منهن هي الأصل، والأخرى فروع لها، بل الراجح أن اللغة الأصلية التي ترجع إليها هذه اللغات - ذابت فيهن، غير أن الحالة التي كانت عليها اللغات السامية جميعاً قبل ظهور الإسلام تحملنا على القول بكل جزم وتأكيد - أن العربية أرقاهن، ومعنى هذا أنها أعمقهن في القدم، فلا يبعد أن تكون هي البنت البكر لأما السامية الأولى» (١).

غير أن هذا التاريخ الذي أشار إليه الأستاذان العقاد والخطيب غامض غموضاً شديداً، نظراً إلى أن هذه اللغة لم تتطور في وسط حضارى، بل كانت القبائل التي تكلمت بالعربية في التاريخ منعزلة وسط بحار من الرمال، فيما سمي بشبه الجزيرة العربية، ولم يؤثر عن هذه القبائل أنها كانت تعرف شيئاً عن فنون التسجيل الحضارى كالنقش على الحجر، أو كالكتابة على البردى، أو كالتماثيل والمعابد والأديرة، وهو ما سجلت عليه الحضارة الفرعونية في تاريخ مصر القديم، فحفظت لنا به معالم تلك الحقبة الخالدة في تاريخ الإنسانية. إن التاريخ العربى فيما قبل الحقبة المسماة بالعصر الجاهلى يتلخص في عبارة واحدة هي: (لقد ولد العربى ومات)، فهذا القدر هو الذى جرى على كل عربى فى تلك الجزيرة، فى ذلك التاريخ البعيد، الذى شهد تطور العربية واستواءها على السنة أهلها من بدو الصحراء.

---

(١) اتجاه الموجات البهرية فى جزيرة العرب - بحث تاريخى فى الهجرات العربية منذ ستة آلاف سنة. وفى أن أصل السكلمانين والفينيقين. من العرب - للمرحوم الأستاذ عب الدين الخطيب

وقد حاول بعض المستشرقين أن يكشفوا في حفرياتهم شيئاً من هذا التاريخ ، ومن ذلك أنهم قدموا لنا بعض النقوش التي عثروا عليها في بادية الشام ، في حوران ، وفي زبيد ، وفي النمارة<sup>(١)</sup> ، وقالوا : إن ما وجد بها من نصوص يمد تصويراً لطفولة هذه اللغة ، ولكن التحقيق العلمي كشف عن أن هذه النصوص تنتمي إلى اللغة الآرامية التي هي مرحلة عربية ، إلى جانب أنها نخلة ، وأكثر مضمونها أسماء أشخاص ، لاتعطي فكرة واضحة عن لغتها . وهكذا نقف في عماية وغموض إذا ما حاولنا كشف شيء ، ولو قليل ، عن طفولة هذه العربية الفصحى .

ولكن هذا لا يمنعنا أن نؤكد أنها كانت كسائر لغات البشر ذات طفولة استمرت عدة قرون ، إلى أن شبت عن الطوق فكانت هذه اللغة المشالية الراقية ، التي تتمثل في لغة الشعر الجاهلي .

وليس من المعقول أن نعتبر الشعر الجاهلي هو البداية الحقيقية لهذه اللغة ، فليس من سنن الله في تكوين اللغات أن تكون في منشئها على هذا النسق الرفيع . وذلك النضج المكتمل ، وإنما الطبيعي أن لغة الجاهلي قد مرت خلال أحقاب تاريخية طويلة بمراحل تطورية هائلة ، ثم خلالها صقلها على هذه الصورة العجيبة ، فاكتمل لأصحاب اللغة ذلك المستوى الراقى من القدرة على البيان ، فصاغوه ، نثروا في خطبهم ، وشعروا في قصائدهم ومعانيهم ، وانتهى إلينا مما قالوه نماذج تعدد قلة لاتدانيها محاولات الشعراء والبلغاء على مر الزمان ، وربما لو ذكرنا هذين البيتين :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل      منى وبيض الهند تقطر من دمي  
فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنها      لمعت كبقارق ثغرك المتبسّم

(١) ارجع في هذا إلى كتاب ( مصادر الشعر الجاهلي ) للدكتور ناصر الدين الأسد - طبعة دار المعارف .

— دون أن نعرف قائلهما ، لحسبنا أنه أحد الشعراء المولاهين المفرمين ، من المعاصرين ، ولكم يروعننا أن نعرف أنه عنزة بن شداد ، أحد فرسان الجاهلية ، وأحد شعرائها الأفاضل ، وليس ما يروعننا منه هو تلك السلاسة في التعبير فحسب ، ولكنها كذلك القدرة على صوغ هذا الموقف الغنى بالعناصر النفسية ، في تلك العبارة الموجزة ، وذلك التعبير الأخاذ الساحر ، الممتلىء أدبا وتصونا ، المتنزّه على الإسفاف في تصوير المشاعر العاشقة .

ولغة على هذا المستوى لاتكون في بدايتها ، وإنما في قمة نضجها ، وفي أوج ازدهارها . وهي مرحلة لاتبلغها اللغات قبل أن تدب عشرات القرون على أربع ، ثم على رجلين ثم تستوى ناهضة لتطير بجناحين ، وهي في خلال هذه المراحل التطورية تهذب من صيفها ، وتطور أصواتها ، وتنقى تراكيبها ، وتنقى معانيها ، وتضيف إلى محصولها من اللغات المجاورة التي تحتك بها ، إلى أن يتم لها كيان لغوي ذو سمات مكتملة .

على أن وضع اللغة العربية كان في الحق ممتازا عن سائر أخواتها من اللغات السامية ، إذ أنها قد انعزلت في بيئاتها الصحراوية ، وابتعدت عن الاحتكاك باللغات المجاورة كثيرا . ولذلك يقرر اللغويون أنها أقرب أخواتها الساميات إلى اللغة السامية الأم ( على فرض وجودها ) ، لأنها احتفظت بعمدة عناصر امتازت بها الفصيحة السامية على سائر اللغات المعروفة ، ثم انقرضت هذه العناصر من بقية أخواتها كالعبرية والسريانية والآرامية ، التي كانت مرحلة من مراحلها التاريخية في رأى الأستاذين العقاد والخطيب .

وأبرز مثال على ذلك ظاهرة الإعراب التي تلازم أواخر الكلمات في العربية ، فهي ظاهرة سامية قديمة ، توجد بعض بقاياها في الأكديّة ، ولكنها

انقرضت من سائر اللغات السامية ، وما ذلك إلا لأن العربية قد انعزلت في الصحراء ، بعيداً عن عوامل التأثير والتأثر باللغات المعاصرة لها ، والتي كانت تتأثر في الواقع باللغات الغالبة عليها ، كالفارسية والرومية والإغريقية .

ومن المسلم به تاريخياً أن العرب كانوا أمة متفرقة إلى قبائل ، وأن هذه القبائل قد حدث فيما بينها صراع هائل خلال قرون طويلة ، وشبت بينها حروب استمرت أحياناً إلى مائة عام . غير أنها كانت أحياناً تميل إلى التواصل ، وبخاصة في ظل المقدسات التي تركزت في مكة ، وكانت مكة في الواقع أشبه بقلب الجزيرة العربية ، يقد إليها الحجاج رجالاً وعلى كل ضامر ، ومن كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، على حد تعبير القرآن .

فالحياة العربية<sup>(١)</sup> في صورتها الأولية لا تخرج عن التصور القبلي ، حيث كانت القبائل تعيش منعزلاً بعضها عن بعض ، معتزلاً كل منها بتقاليدِهِ الاجتماعية والاعنوية ، مفتخراً بما لديه من قدرة على البطش بمعارضيه .

وحياة العزلة ذات تأثير على كل عناصر المجتمع ، البشرية والمعنوية ، فالأطفال في ذلك المجتمع ينشأون بعيدين عن رعاية الأب والأم ، المشغولين بالرعى وتربية الأغنام ، وجلب القوت اليومي ، والحى خال من الكبار ، ممتلئ بالصغار ، الذين يلعبون معاً ، ويمرحون ويفنون ، أعنى أنهم يمارسون

---

(١) انظر حول الأفكار الأساسية في الموضوع كتاب « في اللهجات العربية » للدكتور

إبراهيم أنيس - الفصل الثاني .

نشاطهم اللغوي ، حرا طليقا من كل قيد أو رقابة . ولو فرض أن أحدهم كان منحرف النطق في بعض الأصوات أو الصيغ - وهو ما كان واقعا دائما - فليس هناك من يقوّم له لسانه ، أو يعينه على تدارك خطئه ، ومن هنا تنفشي الأخطاء وتعاظم على أسنة الجيل الناشيء ، الذي يمسك من بعد بقيادة المجتمع ، وهو الذي شب على بعض الانحرافات النطقية ، وإذا بهذه الانحرافات عن سنن النطق الجماعي تسكنسب ثباتا واستقرارا على الألسنة الشابة ، لتصبح من بعد صورة تطورية للغة ، بعد أن كانت في بدايتها مجرد أخطاء أو انحرافات .

هكذا كانت حال اللهجات العربية في نشأتها، فقد انعزلت قبائلها بعضها عن بعض ، وأخذت اللغة تتطور نتيجة الأوضاع الاجتماعية غير المستقرة في داخل هذه القبائل ، غير أن حياة القبائل لم تسكن دائما غير مستقرة ، إذ أن منها من توفرت له أسباب الاستقرار ، ومن الطبيعي أن تبطئ حركة تطور اللغة في هذا الوسط عنها في الوسط الآخر غير المستقر .

على أننا نغفل كثيرا ، بل نخطيء ، حين نتجاهل أحد المعالم الأساسية في تكوين المجتمع العربي ، فهذا المجتمع شأنه شأن أغلب المجتمعات ، كان يضم مستويين من مستويات الحياة الاجتماعية :

### المستوى الأول :

وتعيش فيه قبائل ذات حضارة وإمكانات مادية وأدبية كبيرة ، وهذه كانت تسكن المدن الكبرى ، مثل مكة ويثرب ، والحواضر اليمنية والشامية والعراقية ، التي كانت تجاور أو تخالط شعوب الفرس والروم ، وأهم ما يعيننا

منها القبائل التي كانت تعيش في شمال الجزيرة وغربها ، وهي قبائل : قريش وهذيل ، وثقيف ، والأوس ، والخزرج وغيرها .

### والمستوى الثاني :

وتعيش فيه قبائل أكثر بداوة ، وأقل حضارة ، وهي كثيرة التنقل في أرجاء الجزيرة بحثا عن المرعى ، وعن الاستقرار ، وعن الأمن ، وقد كانت هذه القبائل متركزة تقريبا في شرقي الجزيرة ووسطها ، ومن أشهرها : تميم ، وقيس ، وأسد .

وليس من الصواب أن نستبين بهذه القبائل فتتصور أن عددها قليل ، بل العكس هو الصحيح ، فتميم هذه كانت شعبا عظيما ، عددا ومكانة ، في الجزيرة كلها ، وهي تعد الجناح الثاني للأمة التي عرفت بعد ذلك في التاريخ باسم ( الأمة العربية ) ، حيث تعد قريش جناحها الأول .

وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أحس الناس في أنحاء الجزيرة بمغزى الصلات التي تربطهم فيما بينهم ، والتي تضمن لهم حماية فعالة ضد أي مغير قد يطرأ ، من الأحباش أو من الفرس ، فنشطت هذه الصلات في صورة تبادل تجارى ، وأدى ، حيث كانت تقام في الأسواق التجارية ندوات يعرض فيها شعراء القبائل الوافدة قصائدهم ، وينشدونها بين يدي النقاد والمُحكِّمين ، وكان هؤلاء يحاولون تقييف ما يعرض عليهم من الأسمار ، وتوجيه الشعراء الوجهة الصائبة فيما يصوغون ، حدث هذا في أسواق كانت أدبية في الواقع ، أكثر منها تجارية ، وذلك : كأسواق عكاظ ، ومجنة ، وذي الحجاز ، وخيبر .

عن طريق هذه اللقاءات الأدبية تكونت للعرب لغة مشتركة ، وتقاليد  
تخصي ، هي خير ما جاءت به اللهجات المتفرقة ، فأضافته إلى لسان قريش ،  
التي كانت تسكن جوار البيت العتيق ، فنحها هذا الجوار سلطة روحية  
وأدبية ، وإن لم يمنعها من أن تنتقي من ألسنة العرب ما وافق طباع ألسنتها ،  
وما أحست أنه صورة راقية من صور اللغة الفصحى ، يقول أبو الحسين  
أحمد بن فارس :

« أجمع علماءنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم  
وأيامهم ومجالسهم ، أن قريشا أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة . وذلك  
أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب ، واصطفاهم ، واختار منهم نبي  
الرحمة محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ، فجعل قريشا قُطْبَانَ حرمه ، وجيران  
بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى  
مكة للحج ، ويتحاضرون إلى قريش في أمورهم ، وكانت قريش تعلمهم  
مناسكهم ، وتحكم بينهم . . . ثم قال : وكانت قريش ، مع فصاحتها ،  
وحسن لغاتها ، ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخبروا من كلامهم  
وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفي كلامهم ، فاجتمع ما تخبروا من تلك اللغات  
إلى نحائزهم وسلاتهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب »<sup>(١)</sup> .

فاللغة العربية المشتركة إذن ليست هي لغة قريش أو لهجتها ، فهذه كان  
شأنها شأن لهجات العرب ، وإن تكن أرقاها ، وأعظمها حضارة . وإنما  
كانت العربية المشتركة مزيجاً من تقاليد اللهجات ، وهي التقاليد الراقية غير  
غير المسفة ، إلى جانب غلبة الطابع القرشي في هذا الاختيار .

وليس وجود اللغة المشتركة بمانع العربى أن يتكلم بلهجته الخاصة ، فقد كان يلجأ إلى اللغة المشتركة ، حين يقف موقفاً يتطلب منه الحديث إلى خليط من أبناء القبائل المختلفة ، في ناد أدبى ، أو محفل للتناضح ، أو سوق للتجارة ، وبعبارة مختصرة : في المجال الجدوى الذى يقتضى منه قولاً جاداً .

أما حين يعود إلى موطنه فإنه يعود إلى ما جرى به لسانه من تقاليد لهجته المحلية ، يتعامل بها مع مواطنيه ، جِدًّا وهزلاً .

وقد كان توحد اللهجات العربية ، في المستوى الأدبى ، في صورة اللغة المشتركة مقدمة لا بد منها لنزول القرآن بتلك اللغة المختارة الصافية ، فلم نجد في عبارة القرآن الكريم أثراً من آثار اللهجات الكثيرة ، وإنما كانت عبارته دائماً خالصة من الأوشاب اللهجية ، تماماً كما كان الشعر في العصر الجاهلى خالصاً من الأوشاب اللهجية ، مترفعاً عن ظواهرها المسفة أحياناً . لقد كان الشعر ديوان العرب جميعاً على اختلاف قبائلهم وأنسابهم وثقافتهم ، وكان القرآن من بعد كتاب العرب جميعاً على اختلاف قبائلهم وأنسابهم ، بل كان أكثر من ذلك كتاب البشرية كلها ، أحمرها وأبيضها وأسودها ، فلا بد أن تكون صورته الأدبية غاية في النقاء ، قمة في السمو البيانى ، وهو ما وسم القرآن من أول آياته إلى آخرها ، حتى أقرت الأجيال الأولى والأخرى بتفوقه . وكان من شرائط الإيمان أن نسلم بإعجاز القرآن ، ولسوف نبين في فصل قال أثر القرآن في العربية على نحو مفصل إن شاء الله .

## أشهر اللهجات العربية القديمة وعناصرها :

يجدر بنا بعد هذا البحث في تاريخ اللغة العربية ، وتاريخ اللغة المشتركة الفصحى ، وعلاقتها باللهجات القبلية - أن نقدم إلمامة سريعة عن اللهجات العربية القديمة ، وأشهر هذه اللهجات ، وما تتميز به كل لهجة إجمالاً عن غيرها .

والواقع أن اللهجات - في أية لغة - لا يفصل بينها وبين اللغة المشتركة سوى بعض الصفات الصوتية ، فاللهجة في الاصطلاح العلمى الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل ، تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور من حديث ، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات ، وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلاحاً على تسميتها (باللغة) ، أو (اللسان) فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص<sup>(١)</sup> .

وقد سبق أن ذكرنا أن اللغات المختلفة المنتمية إلى فصيلة واحدة ، يتميز بعضها عن بعض في جوانب كثيرة ، ولكنها تتقارب في أمور هي في الواقع مجموعة العناصر القديمة ، التي نزيدها هنا تأكيداً :

---

(١) في اللهجات العربية ص ١٦٠ .

- ١ - الضمائر .
- ٢ - الأعداد .
- ٣ - أسماء الإشارة والموصول .
- ٤ - الاشتراك في معانى نسبة كبيرة من الكلمات ذات الدلالات القديمة ، كالأرض والسماء ، وألقاب الأسرة كالأب والأم والأخ والابن .
- ٥ - أدوات الربط بين أجزاء الجملة .
- ٦ - الاشتراك العام في كيفية تركيب الجمل<sup>(١)</sup> .

وقد اتضح ذلك لنا مما سبقناه عن تقارب أسماء العدد بين الفرنسية والإيطالية والأسبانية ، وهي لغات مختلفة تنتمي إلى الفصيلة اللاتينية ، إحدى فصائل اللغات الهندية - الأوربية ، الأمر لا يختلف كثيرا عن ذلك في مجال اللغات السامية ( العربية والعبرية والسريانية ) مثلا .

أما اللهجات فإن علاقتها باللغة المشتركة أقرب من ذلك ، وينحصر جوهر الفرق بين بعضها وبعض في مجموعة من الصفات الصوتية ذات الصبغة المحلية :

- ١ - اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية .
- ٢ - اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات .
- ٣ - اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين .
- ٤ - تباين النغمة الموسيقية في الكلام .

---

(١) السابق ص ١٢ .

• - اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة ، حين يتأثر بعضها ببعض (١) .

والناظر في تاريخ اللغة العربية يجد أسماء قبائل كثيرة تتردد في جوانب هذا التاريخ ، ولكن يبرز منها دائماً عدة قبائل هي : قريش ، وتميم ، وأسد وهذيل ، وعقيل ، وطبيء ، وغيرها .

وإنما اشتهرت هذه القبائل دون سواها لما تميزت به لهجاتها من عناصر صوتية فرقت بينها وبين اللهجة المشتركة ، وهي عناصر كانت ملتزمة في البيئات القبلية ، بين أفراد القبيلة الواحدة ، فإذا ما تغيرت البيئة ، ووقف العربي موقفاً يخاطب فيه أفراداً آخرين لجأ إلى اللغة المشتركة ، يلتزم ظواهرها ، ويتشثل صفاتها .

ومن المؤسف بالنسبة إلى تاريخ اللغة العربية أن عناصر هذا التاريخ لم تحفظ مدونة بكل تفصيلاتها ، وإنما امتدت يد التجاهل والنسيان إلى هذه العناصر ، وبخاصة ما يتصل باللهجات العربية ، فلم ترو لنا آدابها الشمبية ، ولا حفظت لنا نصوص ترجع إليها في تجلية معالم هذا التاريخ ، وهذه هي الصفة الغالبة على كل جوانب تاريخ العربية ، إبان نشأتها ، فيما قبل العصر الجاهلي . وزاد الإهمال للهجات حين اهتم الناس باللغة المشتركة ، وأثبتوا بها نصوصهم ، وسجلوا في مستواها الأدبي أشعارهم ، فاستنكفوا أن يهتموا بأمر اللهجات على خطورته ، وكان أن رويت لنا أخبار متناثرة عنها ، لا يمكن أن تصنع تاريخاً ، أو تصوغ فكرة متكاملة .

فقد رويت لنا مثلاً عن لهجة تميم عدة أخبار ذات أهمية ، وتميم في

التاريخ اللغوي رمز للبيئات البدوية بعامة ، في مقابل البيئات الحضرية التي تمثلها قريش وأهل الحجاز .

فما روى لنا أن تيميا كانت تنطق بعض الفتحات في لسان قريش ممالة إلى الكسرة ، وهو ما عرف في الدراسات اللغوية ، قديما ، وحديثا ، باسم ( ظاهرة الإمالة ) ، وروى أيضاً عن هذه القبيلة أنها كانت تدغم بعض الأصوات في بعض ، إذا كان الصوتان المدغان متقاربين ، أو متجانسين ، أو متماثلين ، واتصلا اتصالا مباشرا ، فحيث كانت قريش وأهل الحجاز ينطقون الأصوات واضحة متأنية ، كانت هذه القبيلة تسرع في أداء مقاطع كلامها ، فيدخل بعض الأصوات في بعض ، ومن أمثلة ذلك : أفتختم ، بالذال والتاء ، ينطقها بعضهم : أفتختم ، وقد تمثلت هذه الظاهرة بمختلف أشكالها في قراءة أبي عمرو بن العلاء ، وهي إحدى القراءات السبع ، فيما سمي ( الإدغام ) الصغير ، والكبير ، وقد درسناها كاملة في رسالتنا للماجستير ، في أحد فصولها .

ونسبت كتب اللغة إلى قبيلة تميم وقيس عيلان ظاهرة صوتية سموها ( المنعنة ) ، وهي قاب الهمزة المفتوحة المبدوء بها عينا ، ورووا لذلك قول بعضهم : ( أشهد عنك رسول الله ) يريد : ( أشهد أنك رسول الله ) ، فإذا كسروا رجعوا إلى الهمزة .

ونسبت كتب اللغة إلى قبيلة هذيل ظاهرة ( الفحفحة ) ، وهي قلب الحاء عينا ، فيقولون مثلا : : ( اللحم الأعمر أعسن من اللحم الأبيض ) ، يريدون : ( اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض ) ، ويقال : إن قراءة ابن مسعود رضي الله عنه : ( عتي حين ) في قوله تعالى : ( حتى حين ) - من آثار اللهجة

المهذلية في قراءة القرآن ، وقد نهاه عمر بن الخطاب عن ذلك ، أمرأ إياه أن يقرء الناس بلسان قريش الذى أنزل به القرآن .

وينسبون إلى لهجات اليمن قلب السهين تاء ، فيقولون : (النات) في كلمة ( الناس ) ، و ( الأكيات ) في لهجتهم هم ( الأكياس ) في لساننا ، كما ينسبون إليهم النطق بما يشبه الجيم القاهرية ، في مقابل الجيم المعطشة التي توصف بأنها الفصحى .

وينسبون إلى قريش أنها لم تسكن تعرف ( المهزة ) في كلامها ، وأن المهزة كانت من الأصوات التي يحرص عليها البدو ، دون الحضرة .

ولاريب أن هذه الظواهر تثير أمامنا مشكلات كثيرة ، تحتاج إلى مناقشات واسعة ، غير أن المقام لا يتسع لهذا ، وفي تلك المجالة التي نحرص عليها . وبحسبنا أن نعلم أن ظاهرة واحدة هي ( المهز ) قد أفردت بالدراسة في رسالتنا للدكتوراه ، وكذلك ظاهرة ( الإمالة ) التي ينبغي أن تدرس دراسة علمية تحليلية دقيقة ، لا تسكتفي بالجانب التاريخي في المشكلة ، على المنهج الذى ترسمه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح شابي في رسالته للماجستير .

وقد استطاع الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه ( في اللهجات العربية ) أن يفسر أحيانا لهجية كثيرة ، مما روى في كتب اللغة والأدب ، وخرج من بحثه بتحديد الخطوط العامة التي تميز لهجات البدو عن لهجات الحضرة ، وهو أمر يقوم في كثير من مواضعه على المقارنات الصوتية ، كما يعتمد على نتائج الدراسات الاجتماعية في العصر الحديث .

والنتيجة التي توصل إليها الدكتور أنيس تفيدنا أيضاً في دراسة اللهجات الحديثة ، وهي كثيرة جداً ، في داخل الوطن ، وخارجه ، وتعتبر دراسة هذه

اللهجات الحديثة مقدمة ضرورية لأي جهد يراد به التقريب بين أبناء الوطن العربي .

ومن العسير ، مع ما نرى من التمزق الراهن بين اللهجات العربية الحديثة ، أن تصنع محاولات السياسة إطارا يضم هذه الأشلاء والمذاهب المتنافرة ، فأبسط ما يفرق بينها هو انفصال الحدود السياسية ، وأخطر ما يمزق شملها هو هذا التنوع اللهجي ، الذي ينبغى أن تتعاون الجهود للقضاء عليه ، وإرساء حجر الأساس في بناء الوحدة اللغوية ، طريق الوحدة الشاملة .

## مقياس الصواب والخطأ في اللغة

يتضح من دراسة تاريخ اللغة العربية أنها قد مرت فيما قبل الإسلام

بمرحلتين :

### المرحلة الأولى :

مرحلة التمزق القبلي ، حين كانت مجرد لهجات ، يتمسك أصحابها

بتأليدها ويمتزون .

### المرحلة الثانية :

مرحلة التوحيد اللغوي ، وذلك حين ساد الجزيرة العربية نفوذ القبيلة

الكبرى ( قريش ) ، الذين كانوا سدنة البيت الحرام ، وكانوا إلى جانب ذلك

أوسط العرب مركزاً ، وأعلام نسبا ، وأرقام لساناً ، فأخذوا يختارون من

أسنة القبائل الوافدة إلى الحج وإلى الأسواق الموسمية - مارقاً من الألفاظ

والتراكيب . فتفوت بذلك لغتهم ، على حساب اللهجات الأخرى ، التي

بقيت في وضعها لا يتطور ، وكان أن أصبحت اللهجة القرشية لساناً مشتركاً

بين جميع القبائل ، إلى جانب لهجاتها الخاصة .

وقد مضى قولنا : إن اللغة كائن اجتماعي ، يتأثر بالأحداث والظواهر

الاجتماعية ، ويؤثر فيها أيضاً . فاللغة بهذا المفهوم ملك للمجتمع ، تنعكس في

حالتها صورته .

وفي ضوء هذا المفهوم نستطيع أن نقول : إن الصواب اللغوي مرتبط

أشد الارتباط بالصورة التي يرتضيها المجتمع للغة ، وإن الخطأ اللغوي هو

نقيض هذه الصورة ، لأن المجتمع هو الذى يملك اللغة ، وليست اللغة هى التى تحكم المجتمع .

وقد مرت اللغة العربية فى تطورها القديم بمرحلة اللغة الاجتماعية ، حين كانت تخضع لظروف المجتمع العربى فى الجاهلية ، وقد كان الأدباء والشعراء من سائر القبائل يلتزمون قوانين الفصحى المشتركة ، لا ينفردون عنها أبداً ، فإذا عادوا إلى مواطنهم القبلية استعملوا لهجتهم الخاصة ، وكان العربى فى كلتا الحالين ملتزماً بالمستوى الصوابى ، الذى ارتضاه مجتمعه الخاص للهجته ، ولذلك الذى ارتضاه المجتمع العام للغة المشتركة ، فإذا بدرت من أحدهم بادرة انحراف تكفل المجتمع ، والنقاد فيه كثيرون ، بتقويم الخطىء ، سواء بالتوجيه الفردى ، أو بحكم ما استقر فى حس المجتمع من استنكار لموقف الخارجين عن تقاليد الفصحى .

لم يكن المجتمع يعرف للغة العربية آنذاك قواعد محددة ، ولكنه كان يضبطها بالإحساس بوجود القانون اللغوى ، صوتياً كان أو اشتقاقياً ، أو تركيبياً ، أو دلالياً ، والذوق الحاكم الناقد خير ألف مرة من قواعد شديدة عقيدة ، عسيرة التحليل والتركيب . وقد كان هذا الذوق العربى آنذاك يفصل بين ما هو هـ بى . ز . هـ من تقاليد اللغة المشتركة ، حتى لو ناقض كلاهما الآخر ، فلكل مقام مستوى من اللغة ، ومن أمثلة ذلك ما روتنه لنا كتب النحو واللغة من شواهد تخالف فى صورتها ما تفرضه قواعد النحو العربى ، ومنها أبيات لشعراء جاهليين ، ومع ذلك حفظت ، ورويت لنا كما هى ، ومنها قول أبى النجم المجلى ، وهو من بنى عجل ، من بكر وائل :

واهاً لربا ثم واهاً واهاً هى المنى لو أننا نلناها

يا ليت عيناها لنا وفاها بتمن نرضى به أباهـا  
إن أباهـا وأبا أباهـا قد بلغا في المجد غايتها

وفي هذه الأبيات نجد أبا النجم يلزم المثنى الألف في حالة النصب ، مع أن القاعدة النحوية تنصبه بالياء ، ونجده أيضا يلزم الأسماء الخمسة الألف في حالة الجر ، مع أن القاعدة أن تجر بالياء ( وأبا أبيها ) ، ومع ذلك رويت لنا الأبيات ، تماما كما رويت لنا الأبيات التي استقام فيها إعراب الأسماء الخمسة حسب القاعدة المعروفة ، بالواو رفعا ، وبالألف نصبا ، وبالياء جرا ، ومعلوم أن الواو والألف والياء في هذه الحالات ليست سوى تكبير للحركات المصغرة ، التي هي الضمة والفتحة والكسرة ، ومن هذا النوع أيضا قول الشاعر :

رأين الغواني الشيبَ لاح بعارضى فأعرضن عني بالحدود النواضر

حيث ذكر الشاعر نون النسوة بعد الفعل ( رأى ) ، مع وجود الفاعل ( الغواني ) وهو أمر قد تتأوله أو تمنعه القواعد النحوية . . إلى شواهد أخرى كثيرة حفلت بها كتب اللغة والأدب .

مثل هذا الشعر لم يكن يلقى معارضة قطعاً من جانب نقاد الجاهلية ، ومن المؤكد أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه وارد على سنن الملهجات ، ولكل لهجة قوانينها ونظمها ، كما أننا الآن ننظر إلى الأشعار التي تكتب بلهجات ريفية - نظرة تسليم ، فمن حق هذه الأشعار أن تعيش إلى جانب أشعار اللغة الفصحى ، وليس بوسع أحد أن يصادرها بدعوى الانتصار للفصحى ، أو بدعوى أنها خارجة على سننها ، فإن للعاميات قواعدها الخاصة بها ، رغم أنها غير مكتوبة .

فلما جاء عصر تدوين اللغة ، وأخذ علماء العربية يضعون قواعدها ، صرفية ونحوية - اتجه هؤلاء العلماء إلى القبائل الترشيحية وجيرانها ، فأخذوا عنها لغاتها ، ورفضوا ماعداها ، واعتبروا ماخرج عن قواعدها شذوذاً وخطأً لايجوز اعتماده أو الأخذ به . فكأنهم حاولوا بعملهم هذا فرض مجموعة من القواعد الخاصة ببعض اللهجات على لهجات أخرى ، في حين كانت هذه اللهجات جميعاً تتعايش من قبل في سلام ووثام .

ومن هنا نشأت فكرة الصواب والخطأ في اللغة ، وهى الفكرة التي كانت مرتبطة بقواعد النحو الموضوعية ، فكل ماوافق القواعد النحوية عدّ صواباً ، وكل ماخالفها عدّ لحناً .

وقد حدثت إبان ذلك العصر المتقدم حوادث بين النحاة والشعراء ، ظهر فيها إصرار الشعراء على تمثيل ما تعلموه من طبائع اللغة وتقاليدها في أشعارهم ، وميل النحاة إلى تقييدهم بالقواعد ، واعتبار ماخرج عنها لحناً يحاسبون عليه ، ومن ذلك أن الفرزدق قال مرة شعراً يخاطب به عبد الملك بن مروان ، ويشكو له النوائب التي لم تدع له شيئاً يفنى به ، قال :

وعَضُّ زَمانِ يا ابنِ مروانِ لم يَدَعْ      من المَالِ إلا مُسْحَماً أو مَجْلَفَ  
ونظر النحوي عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فوجد أن الفرزدق خالف القواعد النحوية التي تفرض نصب المعطوف على منصوب : ( مسحماً أو مجلفاً ) فسأل الفرزدق :

— علام رفعتَ ( مجلفٌ ) ؟ .

فقال الفرزدق : على مايسوءك وبنوءك ، علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا .

وفي هذه العبارة نجد التصدى السافر بين النحوى الملتزم بقواعده ،  
والشاعر المعتمز بأبياته ، وماضمنها من لمحات حكمٍ فيها تفوقه اللغوى .

ويتطور الزمن بعد ذلك بالناس ، ليأتى نحاة آخرون ، فى القرن الرابع  
الهجرى ، ليعتبروا أن كل ما جاء عن اللهجات صواب ، وهو حجة ينبى أن  
تعتمد فى تعميد القواعد النحوية ؛ مهما خالفت نهج النصحى ، وفى مقدمة  
هؤلاء : أبو الفتح عثمان بن جنى ، الإمام اللغوى والنحوى المشهور ، مؤلف  
كتب ( الخصائص ، وسر الصناعة ، والمحتسب وغيرها ) ، وقد عقد أيضا فى  
كتابه ( الخصائص ) فصلا بمنوان : ( ما قيس على كلام العرب فهو من كلام  
العرب ) .

وبعد أن كان النحاة المتقدمون يرفضون الاستشهاد بشعر معاصريهم من  
شعراء صدر الإسلام ، ولا يحتجون إلا بشعر الجاهليين ، والخضرمين ( وهم  
الشعراء الذين عاشوا طرفا فى الجاهلية ، وطرفا فى الإسلام ) وفى مقدمتهم  
أبو عمرو بن العلاء ، الذى حدث عنه الأصمعى فقال : ( لازمت أبا عمرو ابن  
لعلاء عشر حجج فلم أسمعه : . . . سلامى ) - بعد هذا وجدنا النحاة  
المؤخرين يستشهدون بشعر معاصريهم ، كالمثنبى ، وأبى تمام ، والبحترى ،  
فضلا عن المتقدمين كالفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والحطيئة ، بل لقد  
وجدنا من المحدثين من يميز الاحتجاج بشعر الشعراء للعاصرين ، أمثال  
شوقى وحافظ .

فإذا كانت اللغة ملكا للمجتمع فإن من الواجب اعتبار كل عطاء  
لغوى لهذا المجتمع ، فى أية صورة كان ، شعرا أو نثرا ، مادام أصحابه قد عرفوا  
بمحبتهم ، والحفاظ عليها ، وبذلك يتسع باب القياس اللغوى ليشمل كل كتابنا  
المحدثين ، من أمثال المازنى ، وطه حسين ، والعقاد ، والرافعى ، ولكل من

هؤلاء عطاؤه اللغوى القيم ، الذى يثرى اللغة الفصحى بالكثير من الظواهر التركيبية ، نتيجة اطلاعهم على الآداب الغربية ، وتمثلهم لتراكيبها . ولعل من الأمثلة الجديرة بالذكر فى هذا المقام ملاحظه الدكتور إبراهيم أنيس فى قول شوقى متحدثا عن الطيران :

ياسلاح العصر بُشِّرنا به كل عصر بكفىّ وسلاح

إن عزا لم يظللّ فى غدٍ بجناحيك ذليل مستباح

فإذا كانت الأداة (لم) تفيد قلب زمان الفعل المضارع إلى المضى ، فكيف يمكن أن يقول الشاعر : (لم يظلل فى غد) .. ؟ .. ومع ذلك فقد يكون هذا استعمالا مبتكرا للأداة (لم) فى ذوق شوقى ، ينبغى أن يوضع موضع التحليل والفحص ، للحكم على صلاحيته وإمكان اعتباره نموذجاً من نماذج الفصحى المتجددة ، قائماً على استحضار صورة الغد ، واعتبارها ذات وقائع ماضية بالقياس إلى زمنها الخاص .

وهكذا تتطور مقاييس الصواب والخطأ ، بمرور الزمن . واستمرار محاولات التجديد فى القواعد والمقاييس .

والأساس الذى يمكن أن نبني عليه فكرتنا عن مقاييس الصواب والخطأ فى اللغة ذو مستويين :

### المستوى الأول :

وهو المستوى الذى تفرضه القواعد النحوية الصارمة ، وهو مستوى (الصواب النحوى) .

## والمستوى الثانى :

وهو المستوى المتصل باللغة ، من حيث هى كائن متحرك ، دائرى فى المجتمع ، متأثر به ، مؤثر فيه ، متطور بتطوره ، وهذه كلها ظروف تفرض على مقاييسنا قدراً من المرونة ، يساير مقتضيات التطور ، وما يحدثه اتصال اللغة باللغات الأخرى من تبادل فى التراكيب ، وتطور فى الأصوات ، وفى المفردات ، وفى الدلالات ، وهو تطور يندفع المجتمع فى تياره ، بفعل عوامل معقدة شديدة التعقيد ، ولا بد لغة أن تتسع لكل احتمال قد يؤثر فى مبنائها ، لتكون أداة ماهرة عن توقعات عصر جديد .

هذا المستوى هو ( مستوى الصواب اللغوى ) ، وهو لا يناقض (الصواب النحوى) ، ولكنه قد يتوسع فى تطبيق قاعدة ، وفى إهمال أخرى ، مستعيضاً عنها بما يوافق هواه الاجتماعى ، وقد تكون مراعاة الصواب النحوى بمثابة اللجام الذى يكبح جماح الانطلاق الذى يستهدف التخلص من القناليد اللغوية العريقة .

وقد رأينا أن مسألة الصواب والخطأ لا تقتصر على الجانب النحوى ، أو الإعرابى ، فهذا جزء صغير من كيان شامخ ، تتقلب اللغة فى نواحيه ، ومن المسلم به أن أصعب جوانب اللغة وأعصاها على التطور جانب القواعد ، لكن هناك جوانب أخرى أعظم قابلية للتطور ، هى جوانب الأصوات ، والمفردات ، والدلالات ، والتراكيب ، والمعانى ، والقوالب الأدبية وغيرها .

ومن الواضح تماماً أن العربية قد طرأ على معجمها وعلى أساليبها تطور كبير ، وبخاصة فى هذا العصر الصناعى ، الذى أمات مجموعة ألفاظ ، كانت قبل مستعملة ، دائرة على كل لسان ، مثل : الناقة ، والربع ، والنسقاط ، والقبيلة ، والفخذ ، والبطن ، والعشيرة ، ( وهذه الألفاظ الأربعة الأخيرة

تدل على تقسيمات قبلية ) ، كما ماتت مجموعات الألفاظ الهائلة الدالة على أنواع السيف، والأسد، والثعبان ، والعسل، وقد روى لكل من هذه مئات الأسماء ، حفلت بها كتب اللغة ، وألفت فيها مصنفات كثيرة مروية في التراث ، وحل محل هذه الألفاظ مجموعات أخرى ذات أهمية صناعية ، أو علمية ، أو اجتماعية ، وهي إما مشتقة من أصل قديم ، أو مولدة بإحدى طرق توليد الألفاظ ، كالنحت ، أو الارتجال ، أو مقترضة معربة ، وهي ألفاظ لم يعرفها العربي القديم ، الذي أثرنا عنه لغتنا الفصحى ، وأغلب الظن أنه لو بمث أحد هؤلاء الفصحاء ثم استمع إلى نطقنا للغة الفصحى ، لما فهم شيئاً ، بسبب اختلاف طريقة نطقنا ، واختلاف نهجنا في تركيب جملنا . واحتشاد مجموعات من الألفاظ الغريبة ، التي لم تطرق أذنه ، ولم يتحرك بها لسانه . كما تصيبه الدهشة من حركة الحياة حوله ، وهي حركة تسيطر عليها الكهرباء ، التي لم يرها ، ولم يعرفها لفظاً ولا مضموناً ، أى : أن قاموس اللغة قد تطور وتغير .

على أن هناك قضية أخرى متصلة بملاج مشكلة الصواب والخطأ في اللغة ، فقد عاجلنا حتى الآن جانب اللغة الفصحى قديماً وحديثاً ، في تناول الفرد لها ، وفي علاج العلماء لظواهرها .

بيد أن الفرد لا يتحدث الآن بالفصحى ، فهي لغة كتابة ، ولغة فكر ، أما لغة الحديث فتختلف من عامية إلى أخرى ، باختلاف بقاع الوطن العربي .

وقد جرت العاميات أيضاً على مجموعة من القواعد والتقاليد التي يلتزمها المجتمع واستعمالاته ، ومن أمثلة ذلك حالات النفي ، والاستفهام ، والنهي ، والتمني ، والأدوات المختلفة ، واستعمال الفعل ، ماضياً ، أو مضارعاً ، أو أمراً ، الخ . الخ . .

وقد كسبت هذه التقاليد قوة الشيء المفروض ، بحكم المجتمع ، وبتقادم الاستعمال اللغوي على ألسنة الناطقين بالعامية ، فأى خروج على هذه التقاليد هو في عرف أصحابها لحن ، يواجهه أفراد المجتمع بالاستنكار حيناً ، وبالسخريّة حيناً آخر ، وبالنصح والإرشاد أحياناً ، بل إن التزام هذه التقاليد هو في عرف المجتمع الأمازيغي وحدة على انتماء المتكلم إليه ، وولائه للسانه ، واستعمال تقاليد أخرى يعني في نظر المجتمع أن المتكلم أجنبي عنه ، منتم إلى مجتمع آخر .

واستعمل مثلاً إلى سوداني يبنى الفعل ( أعرف ) ، فيقول : ( ما بعرف )  
لنشعر بالفرق بين نفيه ونفي المصري : ( مَعْرَفْش ) ، واستعمال أحدهما طريقة النفي المستعملة عند الآخر يعد في نظر مجتمعه خروجاً على تقاليد لهجته ، ولحنا في تركيب صيغها ، وهو موقف لا يقبل إلا من الأجنبي عن اللهجة ، دون مواطنها .  
فها نحن أولاء في موقف يفرض فيه المجتمع مقياس الصواب والخطأ في اللغة ، ويرسم الحدود التي لا ينبغي تجاوزها للفرد المتكلم ، وهي حدود ذات طبيعة اجتماعية ، أي : أنها تتطور بتطور المجتمع ، الذي يستقبل جهازه اللغوي كل يوم مزيداً من الألفاظ والتراكيب الواردة ، وهي تسهم بمرور الزمن في تطوير اللسان بإثرائه بصيغ ومفردات ونظم جديدة .

ولا ريب أن تطور وسائل النشر والإعلام في الوطن العربي سوف يفرض على العاميات المختلفة في الأوطان العربية قدراً لغوياً واحداً ، في المستقبل القريب أو البعيد ، أي : أن هذه العاميات سوف تتقارب وتتفاعل ، لتتخلق من بينها لغة منطوقة مشتركة ، يستخدمها الناطقون من المحيط إلى الخليج ، وهي لغة أقرب إلى طبيعة الفصحى ، منها إلى أية عامية من العاميات الحديثة ، لأن الحركة الثقافية في الوطن العربي متجهة بكل طاقتها إلى دعم الاتجاه الواحد بين المواطنين في كافة أرجاء الوطن العربي ، وليس كاللغة

الفصحى وسيلة لتوحيد القلوب ، من طريق توحيد الألسنة . ويومئذ سوف  
يعد الخروج على سنن اللغة الجديدة انحرافا عن الصواب اللغوى المستحدث ،  
وهكذا .

ومن ذلك كله يتضح أن مسألة الصواب والخطأ فى اللغة تخضع للنسبية ،  
فالصواب صواب بالنسبة إلى ظروف معينة تربيها اللغة اجتماعيا وتاريخيا ،  
وبالنسبة إلى النموذج الذى يقاس إليه ، ومستوى هذا النموذج ، سواء أكان  
من اللغة الأدبية ، أم من لغة التأليف والكتب ، وبالنسبة إلى مستوى اللغة  
ذاتها ، فصحى كانت أو عامية . وهكذا تتحكم النسبية فى المشكلة التى شغلت  
جانبا كبيرا من مناقشات العلماء والأدباء ، خلال القرون .